النقد الأدبي، نظرة عامة وتاريخية

الأصل في كلمة "نقد" في العربية أنّها تدل على التمييز بين الجيّد والرديئ، وهي مأخوذة من نقد الدراهم أي بيان جيِّدها من زائفها، ومن معاني كلمة نقد التجريح ، قال أبو الدرداء :" إنْ نقدت الناس نقدوك وإنْ تركتَهم تركوك" ثم استخدم النقد لتقييم الشعر والنثر وبيان قيمته، وقد بدا ذلك في القرن الثالث الهجري على وجه التقريب ، فقد وجدنا كتبا نقدية مثل كتاب نقد الشعر ونقد النثر لقدامة بن جعفر ، وبعد ذلك نجد كتاب العمدة في صناعة الشعر ونقده لابن رشيق القيرواني **(خفاجي، 1995، صفحة 09)**

ولعلّ خلفا الأحمر ت 180 ه ، هو أول من نقل الدلالة من نقد الدراهم إلى نقد الشعر دون إيراد كلمة نقد آنذاك، فقد أورد ابن سلام الجُمحي أنّ قائلا قال لخلف الأحمر:**"إذا سمعتُ أنا بالشعر واستحسنته، فما أُبالي ما قلتَ أنت فيه وأصحابك، قال :إذا أخذْتَ دِرْهما فاستحْسَنْتُه، فقال لك الصّراف: إنّه رديئ فهل ينفعك استحسانك إياه" (الجُمحي، صفحة 07)**

غير أنّ النقد الأدبي ليس هو مجرد التّمييز بين الجيد والرديئ، بل هو أبعد من ذلك ، إنه أسئلة عقلية يطرحها الناقد؛ تتعلق هذه الأسئلة بمعنى العمل الأدبي، ما الذي أراد الأديب أن يقوله؟ وهو سؤال يتعلق بالمضمون، ثم يسأل الناقد عن الكيفية التي عبر بها المُبْدِع عن أفكاره وعواطفه، وهنا نكون بصدد البحث في الشكل ، وبعد ذلك تأتي مرحلة الحكم والتقييم. وإذن لدينا الأسئلة الآتية :

ماذا قال الأديب؟ كيف قال؟ مامدى نجاحه؟ وإذن فإن التعليل أمر ضروري

النقد إذن عملية أدبية فهي تتعلق بالأدب وهي عملية عقلية تستند إلى التحليل والتعليل والمنطق، والنقد عند العرب صناعة وعِلْم له أدواتٌ لا بد من إتْقانِها، ولعل أول من أشار إلى ذلك ابن سلّام الجُمحي ت 232 ه في كتاب طبقات فحول الشعراء قال: " **وللشعر صناعة وثقافة يعرفها أهل العلم بها، كسائر أصناف العلم والصناعات" (الجُمحي، صفحة 5)** وهذه الثقافة التي أشار إليها محمد بن سلام الجمحي تتمثل في اللغة والنحو والأخبار والأنساب ومعرفة أيام العرب، وهذه الأمور لا تتأتى لكل النّاس ، ولذلك قال أبو عمرو بن العلاء : **" العلماء بالشعر أندر من الكبريت الأحمر"**

وهذا الأمر يصدق على النقد المعاصر ، فعلى الناقد أن يكون مُلِمًّا بثقافة العصر وأن يكون متمكنا من مختلف المناهج.

يقوم النقد الأدبي على جانبين : جانب نظري وجانب تطبيقي، فالجانب النظري يقوم على عمليات " **عقلية تركيبية مبدؤها النظر الدقيق والتأمل العميق للنتاج الأدبي، وثمرتها التقويم لهذه الأعمال في ضوء أجناسها الأدبية وتطورها العالمي" (هلال، 1997، صفحة 09)**

وبالنسبة للجانب التطبيقي فالنقد يتعامل مع النص ، مع الإبداع، بل النقد شكل من أشكال الإبداع، وهناك من يقسم الأدب إلى قسمين الأدب الإنشائي والأدب الوصفي" طه حسين" فالأدب الوصفي هو النقد الذي يصف الإبداع ويقوم عليه، ومعلوم أن النقد لا ينفصل عن الأدب فلولا الأدب ما وُجِد نقد، الناقد ينتظر المبدع ثم يتتبع أثره، ولذلك فالأدب سابق على النقد منطقيا أو مصاحب له لأن المبدع قد يكون ناقدا لنفسه بالمراجعة والتعديل والتهذيب، ومع ذلك قد نجد بعض الآراء النقدية التي ترسم الطريق للمبدع ، وتقوم بتوجيهه لما ينبغي أن يكون عليه الإبداع، ولعل هذه صفة من صفات العباقرة الداعين إلى مذاهب أدبية ، الداعين إلى فلسفة جمالية تضيف الجديد إلى ميراث الإنسانية.

وإذا كان النقد في عمومه يهتم بالأسس والقواعد والأمور النظرية ، فإن المبدع ينشد الحرية واكتشاف الطرق الجديدة ، ولذلك نجد العلاقة بين النقاد والمبدعين علاقة يشوبها أحيانا نوع من الاهتزاز.

نظرة تاريخية عن النقد العربي

انطلق النقد العربي انطباعيا شفويا يقوم على أحكام عامة تفتقد الى التأمل الدقيق والتبرير، فنجد عبارة "**اذهب فأنت أشعر العرب"** هي العبارة السائدة عندهم وهي عبارة تقال لأكثر من شاعر فهي لا تعني حكما ثابتا ولا دائما، كما نجد بعض الملاحظات النقدية الجزئية البسيطة ، ومع مجيئ الإسلام صار مدار النقد حول مضمون الشعر ومقاربته للحق والصدق ودوره في خدمة الدين ، وبقي الأمر هكذا الى غاية عصر التدوين حيث نجد ابن سلام الجمحي يؤلِّف كتابه القيم طبقات فحول الشعراء، وقد قسم فيه الشعراء الى طبقات وضع في كل طبقة أربعة شعراء وأسُسُ هذا التقسيم تاريخية وبيئية وفنية . ومع استناد النقد الى الفكر المعتزلي برزت قضية الصدق والكذب في الشِّعر وقد انحاز الى قضية الصدق بعض النُّقاد مثل ابن طباطبا وعبد القاهر الجرجاني ، بينما انحاز الى المبالغة نقاد آخرون مثل قدامة بن جعفر والقرطاجني.

وبِبُلوغ القرن الثالث للهجرة نجد الاهتمام بالمشترك بين الشعراء ، متمثلا في بروز قضية السرقات والموازنات الشعرية. وفي الحقيقة فإنّ في تراثنا النقدي كثيرًا من المسائل النقدية المهمة مما

تطور في النقد المعاصر حيث نجد السرقات الشعرية تمثل شكلا من أشكال التناص ، ونظرية النظم لعبد القاهر الجرجاني تمثل واحدة من موضوعات النقد المعاصر.

النقد والفلسفة

النقد الأدبي له ارتباط وثيق بالعلوم الإنسانية كالتاريخ وعلم الاجتماع والفلسفة بصورة خاصة ، وفي أدبنا العربي عرف النقد الأدبي الفلسفة اليونانية عن طريق الترجمة ، لكن العرب لم يتمثلوا هذه الفلسفة متكاملة ، وبقي النقد الأدبي العربي منفصلا تقريبا عن الفلسفة وكذا الأدب ،بل إن اعتماد أقوال الفلاسفة كان أمرًا مُسْتهْجَنًا يقول ابن المعتز عن هذه الطريقة إنها المذهب الكلامي وينسبها إلى الجاحظ ، ويقول عن هذا الباب **" ما أعلم أني وجدتُ في القرآن منه شيئا وهو يُنْسب إلى التكلف تعالى الله عن ذلك علوا كبيراً" (بن المعتز، ط1982/2، صفحة 285)**

والمقصود بهذه الطريقة اعتماد أقوال الفلاسفة ، وإعطاء الأولوية للعبارة أكثر من الاعتماد على الفكرة ، وهي الطريقة التي عرف بها الشاعر ابوتمام في مثل قوله

صاغهم ذُو الجلال من جوهر المجـــــد وصاغ الأنام من عَرَضِـــه

لقد كان العرب منكبين على الدين ممثلا في القرآن الكريم مما جعل الاشتغال بأمور أخرى يعد ضربا من الانحراف أو العمل غير المحمود.

وربما لحد اليوم نجد هناك انفصالا بين الأدب العربي وبين الفلسفة ، ولعل هذا واحدا من الأسباب التي تجعل الأدب عندنا غير فعال وغير مؤثر في الحياة فهو نوع من الترف أو هو نوع من الهروب من الواقع والعزوف عنه .

النقد العربي والنقد الأدبي

ينبغي التمييز بين مصطلح النقد العربي القديم ومصطلح النقد الأدبي وهذا الأخير مصطلح حديث أوسع دائرة وأكثر شمولا لعناصر الأدب، وأكثر ارتكازًا على الثقافات المتعددة، والمعارف المتنوعة، فهو نقد اتجاهات وفلسفات، ينتهي آخر الأمر إلى مدارس نقدية ، بينما النقد القديم في معظمه نقد جزئيات **(درويش، صفحة 17)** ويتميز نقدنا العربي القديم باختلاطه الشديد بالبلاغة والسبب أن اللغويين والبلاغيين أقحموا أنفسهم في الأدب، فالبيئة اللغوية كانت مهيمنةً على الأدب وهذا ماعبر عنه الجاحظ بقوله : **" طلبت علم الشعر عند الأصمعي، فوجدته لا يُحْسنُ إلا غريبه، فرجعتُ إلى الأخفش فوجدته لا يتقن إلا إعرابه، فعطفت على أبي عبيدة فوجدته لا ينقل إلا ما اتصل بالأخبار وتعلق بالأيام والأنساب ، فلم أظفر بما أردت إلا عند أدباء الكُتَّاب ...هؤلاء الأدباء يمارسون**

صناعة الأدب ويُنْشِئون النّص ، وقدْ تميّزوا عن علماء الأخبار والأنساب والرواة واللغويين، وهم أصحاب القدرة على التعريف بأمر الشعر وتفهم لغته" (ناصف، صفحة 09)...

الهوامش

Bibliographie

1. العربي حسن درويش. (بلا تاريخ). *النقد العربي القديم ، مقاييسه واتجاهاته وقضاياه وأعلامه ومصادره*. مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة.
2. عبد الله بن المعتز. (ط2/1982). *كتاب البديع* (الإصدار دار المسيرة بيروت).
3. محمد بن سلّام الجُمحي. (بلا تاريخ). *طبقات فحول الشعراء* (الإصدار دار المدني - جدة).
4. محمد عبد المنعم خفاجي. (1995). *مدارس النقد الأدبي الحديث*. الدار المصرية اللبنانية.
5. محمد غنيمي هلال. (1997). *النقد الأدبي الحديث*. دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع.
6. مصطفى ناصف. (بلا تاريخ). *دراسة الأدب العربي* (الإصدار الدار القومية للطباعة والنشر القاهرة).